

## الاستئذان في حياة رسول الله ﷺ

من السلوكيات العامة التي يقوم بها الجميع: دخول بيوت الآخرين الخاصة والعامة، لكن هذا السلوك له آداب ومبادئ مهمة يجب علينا كمسلمين اتباعها في حياتنا اليومية وهذه الآداب على النحو التالي:

- أ. أهمية الاستئذان قبل دخول المنزل.
- ب. عدم النظر داخل المنزل أو دخوله بلا استئذان.
- ج. الاستئذان ثلاثاً لا أكثر.
- د. عدم الوقوف أمام الباب مباشرة عند الاستئذان.
- هـ. على من يستأذن للدخول أن يُعرّف نفسه.
- و. الاستئذان عند دخول العُرف داخل المنزل.



وأفضل قدوة ومثل يُتبع في هذا الأمر هو الحبيب المصطفى ﷺ، فلنلق نظرة عامة على سلوكياته ﷺ وأوامره في هذا الشأن.

### أ. أهمية الاستئذان قبل دخول المنزل

قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾<sup>(٣٢٠)</sup>، فالمنازل هي أماكن خاصة ذات حرمة وثمة أصول وآداب يجب مراعاتها عند دخول هذه الأماكن الخاصة، وأهم هذه الآداب أن يستأذن الضيف من صاحب المنزل بالدخول، وثمرة الأمر بالاستئذان غُضُّ البصر، فعن سهل بن سعد رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّمَا جُعِلَ الْإِسْتِذَانُ مِنْ أَجْلِ الْبَصَرِ"<sup>(٣٢١)</sup>.

### ب. النهي عن النظر داخل المنزل أو دخوله بلا استئذان

لا يجوز في ديننا الحنيف النظر داخل المنازل أو دخولها دون استئذان، فهذا الأمر يُعدّ سلوكاً قبيحاً منذ العهود الأولى للبشر، فعن سهل بن سعد رضي الله عنه قَالَ: اطَّلَعَ رَجُلٌ مِنْ جُحْرِ فِي حُجْرِ النَّبِيِّ ﷺ وَمَعَ النَّبِيِّ ﷺ مَدْرَى يَحْكُ بِهِ رَأْسَهُ فَقَالَ ﷺ "لَوْ أَعْلَمْتُ أَنَّكَ تَنْظُرُ لَطَعَنْتُ بِهِ فِي عَيْنِكَ إِنَّمَا جُعِلَ الْإِسْتِذَانُ مِنْ أَجْلِ الْبَصَرِ"<sup>(٣٢٢)</sup>، فبهذا الوعيد الذي أطلقه النبي ﷺ يتبين لنا مدى خطئ ذلك الرجل ومدى قبح ذاك السلوك.

### ج. الاستئذان ثلاث مرات لا أكثر

على المرء أن يستأذن ثلاث مرات على الأكثر قبل دخول مكان ما، وألا يزيد على ذلك، كما يجب عليه أن يعود أدراجه إن لم يُجبه أحدٌ أو يأذن له، وفي هذا الشأن يقول المولى رحمه الله في قرآنه الكريم ﴿فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا

(٣٢٠) سورة النور: ٢٤/٢٧.

(٣٢١) صحيح البخاري، الاستئذان، ١١.

(٣٢٢) سبق تخريجه، حاشية رقم (٣١٨).

هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٣٢٣﴾، كما نتعلم من الهدى النبوي كيفية الاستئذان عند الدخول فعن أبي موسى الأشعري وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: "إِذَا اسْتَأْذَنَ أَحَدُكُمْ ثَلَاثًا فَلَمْ يُؤْذَنَ لَهُ فَلْيَرْجِعْ..." (٣٢٤)، فيجب أولاً أن نطرق الباب أو نرنّ الجرس المنزلي ونستأذن للدخول، ذاك أن منازلنا الحالية ليست كسابقتها التي كانت في عهد الرسول ﷺ، أما إذا لم يُجب أحدٌ فيطرق الباب، أو يدقّ الجرس ثلاث مرّاتٍ على الأكثر، وعليه أن يعود أدراجه إن لم يردّ عليه أحدٌ من الداخل أو يُفتح الباب، لأنّ هذا يعني أن لا أحد في المنزل، أو أنهم غير مستعدين للترحيب بهذا الضيف.

### د. تعليمه ﷺ آداب دخول المنزل

هناك مبادئ عامّة وقواعد مهمّة يجب مراعاتها عند دخول المنزل، فحنّ نسّمّي مجموعة هذه القواعد "آداب دخول المنزل"، ولقد كان الرسول ﷺ قدوةً لأصحابه ويطبّق بنفسه بعض الأمور ليوضحها لهم ككيفية الاستئذان عند دخول منزلٍ ما، وتبيان الأمور التي يجب مراعاتها في الاستئذان.

### زيارته ﷺ لسعد بن عباد ؓ

عَنْ قَيْسِ بْنِ سَعْدٍ بَنِ عَبَادَةَ ؓ قَالَ: "زَارَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي مَنْزِلِنَا فَقَالَ ﷺ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ فَردَّ سَعْدٌ ردًّا خَفِيًّا، قَالَ قَيْسٌ: فَقُلْتُ: أَلَا تَأْذُنُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ فَقَالَ: ذَرُهُ يُكْثِرْ عَلَيْنَا مِنَ السَّلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، فَردَّ سَعْدٌ ردًّا خَفِيًّا، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

(٣٢٣) سورة النور: ٢٨/٢٤.

(٣٢٤) صحيح البخاري، الاستئذان، ١٣.

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، ثُمَّ رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَاتَّبَعَهُ سَعْدٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي كُنْتُ أَسْمَعُ تَسْلِيمَكَ وَأَرُدُّ عَلَيْكَ رَدًّا خَفِيًّا لِنُكْثَرِ عَلَيْنَا مِنَ السَّلَامِ، قَالَ: فَأَنْصَرَفَ مَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَمَرَ لَهُ سَعْدٌ بِغُسْلِ، فَأَعْتَسَلَ، ثُمَّ نَاوَلَهُ مِلْحَقَةً مَضْبُوعَةً بِزَغْفَرَانٍ، أَوْ وَرْسٍ، فَاشْتَمَلَ بِهَا، ثُمَّ رَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَيْهِ وَهُوَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ اجْعَلْ صَلَوَاتِكَ وَرَحْمَتَكَ عَلَى آلِ سَعْدِ ابْنِ عُبَادَةَ“ (٣٢٥).

وكما نرى في الحديث فقد طبق الرسول ﷺ بنفسه كل التوجيهات والإرشادات التي وجهها إلينا بالنسبة لآداب الاستئذان.

فلقد ألقى التحية أولاً..

ثم استأذن ثلاث مرّات..

فلما لم يأت الردّ والترحاب من أصحاب المنزل لم يصرّ على الدخول وعاد أدراجه.

### هـ. تعليمه ﷺ أمته كيفية الاستئذان

لم يكن الناس في عهد الرسول ﷺ على علم بقواعد الآداب، ومن ثم نجد الكثير منهم كانوا يقومون بسلوكيات خاطئة، وقد كان النبي ﷺ يصحّح لهم المسارات ويُرشدُهم ويهديهم نحو الأفضل بتوجيهاته ونصائحه، فإن بَدَرَ من أحدهم سلوكٌ حسنٌ أقرّه وسدّده، وإن بَدَرَ سلوكٌ خاطئٌ أنكره ونهى عنه دون غضبٍ أو كللٍ أو مللٍ، ففي عهد المصطفى ﷺ كان من يتكلّم خارج المنزل يُسمَعُ صوته في الداخل، وذاك لأن المنازل حينها كانت تُبنى بطريقة بسيطة، وتتكوّن من طابقٍ واحدٍ في

الغالب، ومن ثم كان الصحابة عندما يأتون منزل الرسول ﷺ يستأذنون قائلين "السلام عليكم، هل لنا بالدخول؟"، بيد أن هناك من كانوا يتناسون الاستئذان ويدخلون دون إذن، فكان النبي ﷺ ينهاهم عن ذلك بكلام لين لطيف، نتناول مثالا على ذلك:

#### ١- تعليمه ﷺ رجلاً من "بني عامر" آداب الاستئذان

عَنْ رِبْعِيِّ قَالَ: "حَدَّثَنَا رَجُلٌ مِّنْ بَنِي عَامِرٍ أَنَّهُ اسْتَأْذَنَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ فِي بَيْتٍ فَقَالَ: أَلَلَّحْ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِيَخْدِمَهُ: اخْرُجْ إِلَى هَذَا فَعَلِمَهُ الْاسْتِئْذَانَ، فَقُلْ لَهُ: قُلِ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، أَدْخُلْ؟ فَسَمِعَهُ الرَّجُلُ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، أَدْخُلْ؟ فَإِذَنْ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ، فَدَخَلَ" (٣٢٦).

#### ٢- تحذيره ﷺ "كَلْدَةَ بَنِ حَنْبَلٍ"

وفي رواية أخرى نجد النبي ﷺ وهو ينهى "كلدة" بلطف وتهذيب عندما أراد الدخول عليه دون أن يلقي عليه السلام، فعن كَلْدَةَ بَنِ حَنْبَلٍ أَنَّ صَفْوَانَ بَنَ أُمَيَّةَ بَعَثَهُ بَلْبَنَ وَلَيْلًا وَضَعَايَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَالنَّبِيُّ ﷺ بِأَعْلَى الْوَادِي، قَالَ: "فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ وَلَمْ أُسَلِّمْ وَلَمْ اسْتَأْذِنْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ارْجِعْ فَقُلْ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَدْخُلْ؟" (٣٢٧).

وهكذا فإن النبي ﷺ دائماً ما يُرشد الصحابة إلى محاسن السلوك وينهاهم عن قبيح السلوك.

#### و. عدم الوقوف أمام الباب مباشرة عند الاستئذان

كان النبي ﷺ يُراعي -عند ذهابه إلى منزل الغير- ألا يقف أمام الباب مباشرة بل كان يقف يمين الباب أو يساره، وفي رواية عن

(٣٢٦) سنن أبي داود، الأدب، ١٢٥-١٢٦.

(٣٢٧) سنن الترمذي، الاستئذان، ٨.

عبد الله بن بسرٍ قال: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَتَى بَابَ قَوْمٍ لَمْ يَسْتَقْبِلِ الْبَابَ مِنْ تَلَقَّاءٍ وَجْهِهِ، وَلَكِنْ مِنْ رُكْنِهِ الْأَيْمَنِ، أَوِ الْأَيْسَرِ، وَيَقُولُ ﷺ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، السَّلَامُ عَلَيْكُمْ"<sup>(٣٢٨)</sup>، كانت المنازل في عهد النبي ﷺ مكوّنة من طابقٍ واحدٍ في الغالب، كما أنها كانت صغيرةً، ومن ثمّ كان من يقف أمام الباب يرى المنزل بأكمله ويطلّع على حاله كلّ حينما يُفتح الباب، ولذا لم يكن الرسول ﷺ يقف أمام الباب مباشرةً بل يقف على يمينه أو يساره، ويجب علينا حتّى في الوقت الحالي مراعاة هذه السنة واتباعها في المنازل المنشأة بهذا الشكل، أمّا المنازل العصريّة الضخمة والمرتفعة فلها آدابها الخاصّة، فإذا كان على باب المبنى السكنيّ كاميرا للمراقبة فيجب علينا الاقتراب منها حتّى يتمكّن صاحب البيت من رؤيتنا ومعرفتنا، وإن كان ثمة جرسٌ فعلينا أن نقرعه وننتظر، وإن كان ثمة جهاز تسجيلٍ أو نقلٍ للأصوات؛ فعلينا أن نتكلّم بوضوحٍ ونذكر أسماءنا ونعرّف عن أنفسنا.

### ز. على من يستأذن للدخول أن يُعرّف عن نفسه

عند الاستئذان لا يجوز أن نُجيب على الأسئلة مثل "من الطارق؟"، "من أنت؟"؛ بإجابة لا تفيد التعريف مثل "أنا"، بل لا بدّ من إجابة مفهومة مختصرة وواضحة، وبأقوال تكشف هوية الطارق تمامًا، فكما يجب الاستئذان قبل الدخول، يجب أيضًا التعريف بالنفس عند السؤال عن الهوية، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: "أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي دِينَ كَانَ عَلَى أَبِي، فَدَقَّقْتُ الْبَابَ، فَقَالَ ﷺ: مَنْ ذَا؟ فَقُلْتُ: أَنَا، فَقَالَ: أَنَا أَنَا، كَأَنَّهُ كَرَّهَهَا"<sup>(٣٢٩)</sup>.

(٣٢٨) سنن أبي داود، الأدب ١٢٧-١٢٨.

(٣٢٩) صحيح البخاري، الاستئذان، ١٧.

طرق أحدهم باب النبي ﷺ وعندما سأل النبي ﷺ "من الطارق؟"؛ أجاب الرجل بعبارَةٍ غير مفيدةٍ وقال "أنا" فلم يعجب الرسول ﷺ بهذا الردّ، لأنّ هذه الكلمة غير كافيةٍ في الإيضاح والتبيين، فكان النبي ﷺ دائماً ما يوجّه أصحابه إلى الصحيح من السلوك، فإذا أمرهم بشيءٍ انصاعوا له، وإذا نهاهم عن شيءٍ ابتعدوا عنه، ولذا كانوا يفعلون ما يجب عليهم فعله، وعندما يسألهم النبي "من الطارق؟" يجيبون جواباً واضحاً ويعترفون أنفسهم بأسمائهم، فعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: "خَرَجْتُ لَيْلَةً مِنَ اللَّيَالِي فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَمْشِي وَحْدَهُ وَلَيْسَ مَعَهُ إِنْسَانٌ، قَالَ: فَظَنَنْتُ أَنَّهُ يَكْرَهُ أَنْ يَمْشِيَ مَعَهُ أَحَدٌ، قَالَ: فَجَعَلْتُ أَمْشِي فِي ظِلِّ الْقَمَرِ، فَالْتَقَيْتُ فَرَانِي، فَقَالَ ﷺ: مَنْ هَذَا؟ قُلْتُ: أَبُو ذَرٍّ" (٣٣٠).

### ح. الاستئذان عند دخول الغرف داخل المنزل

مثلاً يجب الاستئذان عند دخول المنزل، يجب أيضاً الاستئذان عند دخول الغرف داخل المنزل، فعلى الجميع في المنزل أطفالاً وخداماً أن يراعوا ذلك، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيْسَ اسْتِئْذَانُكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدُهَا طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (٣٣١)، والآية الكريمة توضّح أنه لا يجوز للأطفال أن يدخلوا حجرة والديهم إلا بعد أن يستأذِنوا للدخول لا سيّما في هذه الأوقات الثلاثة، وهذه الأوقات هي:

(٣٣٠) صحيح البخاري، الرقاق، ١٣.

(٣٣١) سورة النور: ٥٨/٢٤.

## ١- قبل صلاة الفجر

## ٢- عند وضع الثياب من الظهيرة

## ٣- بعد صلاة العشاء

كما أخبرنا القرآن الكريم أيضًا أنه يجب على من بلغوا الحلم منهم ألا يدخلون الغرفة دون استئذان قال تعالى: ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾<sup>(٣٣٢)</sup> وتستوقفنا هنا هذه الرواية التي توضح أنه لا يجوز دخول الغرفة دون استئذان، فعن عطاء بن يسار رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سَأَلَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَسْتَأْذِنُ عَلَى أُمِّي؟ فَقَالَ ﷺ: نَعَمْ فَقَالَ الرَّجُلُ: إِنِّي مَعَهَا فِي الْبَيْتِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: اسْتَأْذِنْ عَلَيْهَا، فَقَالَ الرَّجُلُ: إِنِّي خَادِمُهَا، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: اسْتَأْذِنْ عَلَيْهَا، أُتِحِبُّ أَنْ تَرَاهَا عُرْيَانَةً؟ قَالَ: لَا، قَالَ ﷺ: فَاسْتَأْذِنْ عَلَيْهَا“<sup>(٣٣٣)</sup>، وكما نرى في الحديث الشريف إذا كنا نريد تجنب المواقف الحرجة السيئة، يجب أن نستأذن قبل دخولنا الغرفة، حتى وإن كان من بداخلها فردٌ من عائلتنا.

وأخيرًا؛ لا يجوز دخول المنازل والنظر إليها دون استئذان، بل يجب الاستئذان قبل الدخول، ودقّ الجرس أو الباب ثلاث مرّاتٍ على الأكثر، وألا نقف أمام الباب مباشرةً، كما يجب أن نُعرّف عن أنفسنا بأسمائنا، وأن نعتاد الاستئذان قبل الدخول إلى الغرف داخل المنزل، وإذا ما راعينا هذه الأمور واتبعناها جيدًا فسيتحسن طراز حياتنا، ولن نشقّ على من نزورهم ولن نزعجهم، والأهم من هذا كله هو: الحصول على ثواب اتباع السنة.

(٣٣٢) سورة النور: ٥٩/٢٤.

(٣٣٣) موطأ الإمام مالك، ١٤٠٢/٥.

obeikandi.com

القسم الحادي عشر

آداب رسول الله ﷺ في المصافحة

## المصافحة في حياة رسول الله ﷺ

المصافحة تعني السلام باليد بقصد إلقاء التحية أو السلام أو التهئة وإظهار الصداقة والمحبة وغيرها، وإحدى خصال الدين الإسلامي هي مصافحة المسلمين بعضهم البعض بعد السلام، ومن ثم يجب علينا مراعاة هذا الأمر، ومقابلة اليد الممتدة للمصافحة بالمثل حتى وإن كان المرء مستاءً وغاضباً، وفي رواية عَنْ قَتَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قُلْتُ لِأَنْسٍ: ”أَكَانَتْ الْمُصَافَحَةُ فِي أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: نَعَمْ“<sup>(٣٣٤)</sup>، ومن الأمور الأخرى المحمودة في الإسلام معانقة الأصدقاء أو الأقرباء القادمين من سفرٍ بعيدٍ، وتقبيل أيدي الكبار، وجبين الصغار ورؤسهم.



### أ. مصافحته ﷺ لأصحابه حين يلقاهم

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: ”كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا اسْتَقْبَلَهُ الرَّجُلُ فَمَافَحَهُ لَا يَنْزِعُ يَدَهُ مِنْ يَدِهِ حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ

الَّذِي يَنْزِعُ، وَلَا يَصْرِفُ وَجْهَهُ عَنْ وَجْهِهِ حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ هُوَ الَّذِي يَصْرِفُهُ وَلَمْ يَرْ مُقَدِّمًا رُكْبَتَيْهِ بَيْنَ يَدَيِ جَلِيسٍ لَهُ“ (٣٣٥)، وفي رواية أخرى لأنس يحكي لنا مثلاً جميلاً لمصافحة النبي ﷺ حيث كان ﷺ لا يسحب يده قبل أن يدعها الرجل، حتى لا يجرح شعوره، فعن أنس بن مالك ﷺ قَالَ: ”مَا رَأَيْتُ رَجُلًا اتَّقَمَ أَذُنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَيَنْحِي رَأْسَهُ، حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ هُوَ الَّذِي يُنَحِّي رَأْسَهُ، وَمَا رَأَيْتُ رَجُلًا أَخَذَ بِيَدِهِ فَتَرَكَ يَدَهُ، حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ هُوَ الَّذِي يَدْعُ يَدَهُ“ (٣٣٦)، أي إن أفضل دليل على تقدير الشخص الذي نصافحه واحترامه، ألا نترك يده قبل أن يدع هو يدنا، وعلى الجميع في وقتنا الحالي مراعاة مثل هذه الأمور جيّداً في علاقاتهم بالآخرين، وهناك حديث آخر يُبين أن النبي ﷺ كان يلقي التحية أولاً على من يلقاهم ثم يصافحهم، يقول جندب كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ”إِذَا لَقِيَ أَصْحَابَهُ لَمْ يُصَافِحْهُمْ حَتَّى يُسَلِّمَ عَلَيْهِمْ“ (٣٣٧)، وهناك رواية أخرى توضّح وتبين مدى اهتمام النبي ﷺ بالمصافحة فعن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَقِيَ حُذَيْفَةَ، فَأَرَادَ أَنْ يُصَافِحَهُ، فَتَنَحَّى حُذَيْفَةُ فَقَالَ: إِنِّي كُنْتُ جُبًّا، فَقَالَ ﷺ: ”إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا صَافَحَ أَخَاهُ تَحَاتَّتْ خَطَايَاهُمَا، كَمَا يَتَحَاتُّ وَرَقُ الشَّجَرِ“ (٣٣٨)، ويؤكد الحديث السابق أن النجاسة المعنوية لا تمنع من المصافحة، وفي ذلك دليل على أهميتها وقيمتها.

### ١- حثّه ﷺ على المصافحة

أمر النبي ﷺ المؤمنين أن يستغفروا بعد المصافحة، فعن البراء بن عازب ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ”إِذَا التَقَى الْمُسْلِمَانِ فَتَصَافَحَا، وَحَمِدَا

(٣٣٥) سنن الترمذي، صفة القيامة، ٤٤.

(٣٣٦) سنن أبي داود، الأدب، ٥.

(٣٣٧) الطبراني: المعجم الكبير، ١٧٦/٢.

(٣٣٨) مسند البزار، ٨٤/١٥.

الله ﷻ، وَاسْتَغْفَرَاهُ غُفْرًا لَّهُمَا“<sup>(٣٣٩)</sup>، وكما نرى في الحديث الشريف قد بشر النبي ﷺ المسلمين اللذين يتصافحان ثم يستغفران الله بأن ذنوبهما ستُغْفَر قبل أن يقوموا من مقامهما، ولا ريب أن غفران الذنوب هنا يُقصد به العفو عن الصغائر دون حقوق العباد، وعلى الرغم من أن موضوع الحديث هو العفو عن صغائر الذنوب؛ إلا أنه يُبين أهمية المصافحة وعظمت شأنها إلى جانب أهميّة الاستغفار والدعاء.

## ٢- عدم مصافحته ﷺ النساء عند مبايعتهن

لا يجوز للنساء أن يصافحن الرجال من غير المحارم أو يقبلن أيديهن، وعندما نزلت هذه الآية في المدينة وضّحت أُسُسُ مبايعة النساء، فقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعُهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(٣٤٠)</sup>، وعندما نزلت هذه الآية جمع النبي ﷺ النساء في المدينة وطلب مبايعتهن، فعن عائشة ؓ: قَالَتْ: ”كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُبَايِعُ النِّسَاءَ بِالْكَالَامِ بِهَذِهِ الْآيَةِ ﴿لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا﴾، قَالَتْ: وَمَا مَسَّتْ يَدُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَدَ امْرَأَةٍ إِلَّا امْرَأَةٌ يَمْلِكُهَا“<sup>(٣٤١)</sup>.

وقالت في حديث آخر ؓ: ”كَانَتِ الْمُؤْمِنَاتُ إِذَا هَاجَزْنَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَمْتَحِنُهُنَّ بِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا، إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَاْمْتَحِنُوهُنَّ﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، قَالَتْ عَائِشَةُ ؓ: فَمَنْ أَقْرَبَ بِهَذَا الشَّرْطِ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ فَقَدْ أَقْرَبَ بِالْمَحْنَةِ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَقْرَزَ بِذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِنَّ قَالَ لَهُنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: انْطَلِقْنَ فَقَدْ بَايَعْتُنَّ، لَا وَاللَّهِ مَا مَسَّتْ

(٣٣٩) سنن أبي داود، الأدب، ١٤٠-١٤١.

(٣٤٠) سُورَةُ الْمُؤْمِنَةِ: ١٢/٦٠.

(٣٤١) صحيح البخاري، الأحكام، ٤٩.

يَدُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَدَ امْرَأَةٍ قَطُّ غَيْرَ أَنَّهُ بَايَعَهُنَّ بِالْكَلامِ وَاللَّهُ مَا أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى النِّسَاءِ إِلَّا بِمَا أَمَرَهُ اللَّهُ، يَقُولُ لَهُنَّ إِذَا أَخَذَ عَلَيْهِنَّ: قَدْ بَايَعْتُكُنَّ كَلَامًا“ (٣٤٢).

كما رُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَضَعُ قَمَاشًا فَوْقَ يَدَيْهِ وَتَضَعُ النِّسَاءُ نَفْسَ الْقَمَاشِ فَوْقَ أَيْدِيهَا ثُمَّ يَبَايِعُهُنَّ، وَعَنْ أُمِّمَةَ بِنْتِ رُفَيْقَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: ”جِئْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي نِسْوَةٍ نُبَايَعُهُ، فَقَالَ ﷺ لَنَا: فِيمَا اسْتَطَعْتُنَّ وَأَطَقْتُنَّ، إِنِّي لَا أَصَافِحُ النِّسَاءَ“ (٣٤٣)، كما رُوِيَ أَنَّهُ كَانَ يَبَايِعُهُنَّ عَنْ طَرِيقٍ وَضَعَ يَدَهُ فِي كُوبِ مَاءٍ، ثُمَّ تَضَعُ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدِهِ أَيْدِيهَا فِي الْكُوبِ (٣٤٤)، وَمِمَّا يَجْذِبُ الْإِتْبَاهَ هُنَا هُوَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَصَافِحْ امْرَأَةً قَطُّ مِنْ غَيْرِ الْمَحَارِمِ، وَمِنْ ثَمَّ عَلَيْنَا مِرَاعَاةَ هَذَا الْأَمْرِ جَيِّدًا أَثْنَاءَ الْمَصَافِحَةِ.

### ب. السَّنةُ النَّبَوِيَّةُ فِي الْمَعَانِقَةِ وَالتَّقْبِيلِ

اسْتِنَادًا إِلَى الْإِجَابَاتِ الَّتِي أَجَابَ بِهَا الرَّسُولُ ﷺ عَلَى الْأَسْئَلَةِ الْمَوْجَّهَةِ إِلَيْهِ، وَاسْتِنَادًا إِلَى أَعْمَالِهِ وَسُلُوكِيَّاتِهِ فِي هَذَا الْأَمْرِ، فَإِنَّهُ قَدْ أَبَاحَ الْمَصَافِحَةَ وَحَرَّمَ الْمَعَانِقَةَ وَالتَّقْبِيلَ فِي غَيْرِ الظُّرُوفِ الْإِسْتِثْنَائِيَّةِ، فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: ”قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الرَّجُلُ مِمَّا يَلْقَى أَخَاهُ أَوْ صَدِيقَهُ أَيْتَخَنِي لَهُ؟ قَالَ ﷺ: لَا، قَالَ: أَفَيَلْتَرِمُهُ وَيُقَبِّلُهُ؟ قَالَ ﷺ: لَا، قَالَ: أَفَيَأْخُذُ بِيَدِهِ وَيُصَافِحُهُ؟ قَالَ ﷺ: نَعَمْ“ (٣٤٥).

فَلَقَدْ نَهَى النَّبِيُّ ﷺ عَنِ الْمَعَانِقَةِ وَالتَّقْبِيلِ، وَأَجَازَ الْمَصَافِحَةَ بِالْيَدِ فِي الظُّرُوفِ الْعَادِيَّةِ، أَمَّا اللَّقَاءُ بَعْدَ طَوْلِ افْتِرَاقٍ أَوْ عَقَبَ سَفَرٍ طَوِيلٍ فَلَا بَأْسَ بِالْمَعَانِقَةِ كَمَا كَانَ يَفْعَلُ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

(٣٤٢) صحيح البخاري، الطلاق، ١٧.

(٣٤٣) سنن ابن ماجه، الجهاد، ٤٣.

(٣٤٤) انظر، ابن إسحاق: السير والمغازي.

(٣٤٥) سنن الترمذي، الاستئذان، ٣١.

ولقد قسم علماء الحديث هذا الأمر طبقاً للروايات كما سيأتي:

وعليه إذا تقابل اثنان لهما أن يتصافحا، كما يجوز معانقة الصديق أو القريب القادم من سفر بعيد، ولكن عندئذ لا بد من مراعاة أن تكون الثياب التي يرتديها سميكة، أما التقبيل فقد قال فيه علماء الإسلام أنه يستحب تقبيل أيدي المبجلين من الناس وكبار السن والعلماء والمتدينين منهم، أما إذا كان التقبيل بسبب الغنى والثراء والشهرة فهو مكروه، ومن ثم فإن التقبيل يكون لليدين والجبين، وليس للشفة أو الخد.

#### ١- استقباله ﷺ القادمين من سفرٍ بعيدٍ

من جميل الخصال معانقة المعارف والأصدقاء القادمين من سفرٍ بعيدٍ وتقبيل أيديهم أو جبينهم بحسب أعمارهم، ولقد كان النبي ﷺ يستقبل القادمين من سفرٍ بعيد بحفاوةٍ وترحابٍ، فإن كانوا أقرباء له يعانقهم ويقبل جبينهم ويظهر لهم مدى حبه لهم وشوقه للقائهم.

#### استقباله ﷺ لزيد بن حارثة

زيد بن حارثة ؓ: هو ابن النبي ﷺ بالتبني، وكان النبي ﷺ يحبه حباً جماً، وكثيراً ما كان يُعينه على رؤوس الطلائع والسرايا أو يستخلفه قائداً على الجيش، فعن عائشة ؓ قالت: "قَدِمَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ الْمَدِينَةَ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَيْتِي فَأَتَاهُ فَقَرَعَ الْبَابَ، فَقَامَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ غُرِياناً يَجُرُّ ثَوْبَهُ، وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُهُ غُرِياناً قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ، فَأَعْتَنَقَهُ وَقَبَّلَهُ" (٣٤٦).

نعم، لقد كان الحبيب المصطفى ﷺ في غاية اللطافة والنبيل، فلم يكن يريدُ لزيد أن ينتظر طويلاً على الباب، بل بمجرد سماع النبي ﷺ صوت

زيد هرع مسرعاً إلى الباب لاستقباله حتى إنه لم يكن قد ارتدى ثيابه كاملة بل يجزّرها وراءه ويلبسها وهو في طريقه إلى الباب.

### استقباله ﷺ لجعفر بن أبي طالب رضي الله عنه

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ عَنْ أَبِيهِ ﷺ قَالَ: "بَعَثْتُ قُرَيْشَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ، وَعُمَارَةَ بْنَ الْوَلِيدِ، بِهَدِيَّةٍ مِنْ أَبِي سُفْيَانَ إِلَى النَّجَاشِيِّ، فَقَالُوا لَهُ -وَنَحْنُ عِنْدَهُ-: قَدْ بَعَثُوا إِلَيْكَ أَنَسًا مِنْ سَفَلَتِنَا وَسَفَهَائِهِمْ، فَادْفَعْهُمْ إِلَيْنَا، قَالَ: لَا، حَتَّى أَسْمَعَ كَلَامَهُمْ، فَبَعَثَ إِلَيْنَا، وَقَالَ: مَا تَقُولُونَ؟ فَقُلْنَا: إِنَّ قَوْمَنَا يَعْبُدُونَ الْأَوْثَانَ، وَإِنَّ اللَّهَ ﷻ بَعَثَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَأَمَّنَّا بِهِ، وَصَدَّقْنَاهُ، فَقَالَ لَهُمُ النَّجَاشِيُّ: عَبِيدًا هُمْ لَكُمْ؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: فَلَكُمْ عَلَيْهِمْ دِينَ؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ فَخَرَجْنَا مِنْ عِنْدِهِ، فَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ: إِنَّ هَؤُلَاءِ يَقُولُونَ فِي عِيسَى، غَيْرَ مَا تَقُولُونَ، قَالَ: إِنَّ لَمْ يَقُولُوا فِي عِيسَى مِثْلَ مَا أَقُولُ لَمْ أَدْعُهُمْ فِي أَرْضِي سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، قَالَ: فَأَرْسَلَ إِلَيْنَا، فَكَانَتْ الدَّعْوَةُ الثَّانِيَّةُ أَشَدَّ عَلَيْنَا مِنَ الْأُولَى، فَقَالَ: مَا يَقُولُ صَاحِبُكُمْ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ؟ فَقُلْنَا: هُوَ يَقُولُ: هُوَ رُوحُ اللَّهِ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى الْعَذْرَاءِ الْبَثُولِ، قَالَ: فَأَرْسَلَ، فَقَالَ: ادْعُوا فَلَانًا الْقَسَّ، وَفَلَانًا الرَّاهِبَ، فَآتَاهُ نَاسٌ مِنْهُمْ، فَقَالَ: مَا تَقُولُونَ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ؟ فَقَالُوا: أَنْتَ أَعْلَمُنَا، فَمَا تَقُولُ؟ قَالَ النَّجَاشِيُّ: فَأَخَذَ شَيْئًا مِنَ الْأَرْضِ، ثُمَّ قَالَ: هَكَذَا عِيسَى مَا زَادَ عَلَى مَا قَالَ هَؤُلَاءِ مِثْلَ هَذَا، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: أَيُّذِيكُمْ أَحَدٌ؟ قَالُوا: نَعَمْ، فَأَمَرَ مُنَادِيًا فَنَادَى: مَنْ آذَى أَحَدًا مِنْهُمْ، فَأَغْرِمُوهُ أَرْبَعَةَ دَرَاهِمَ، ثُمَّ قَالَ: يَكْفِيكُمْ؟ فَقُلْنَا: لَا، فَاضْغَفْهَا، فَلَمَّا هَاجَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَظَهَرَ بِهَا، قُلْنَا لَهُ: إِنَّ صَاحِبَنَا قَدْ خَرَجَ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَظَهَرَ بِهَا، وَهَاجَرَ، وَقَتَلَ الَّذِينَ كُنَّا حَدَّثْنَاكَ عَنْهُمْ، وَقَدْ أَرَدْنَا الرَّحِيلَ إِلَيْهِ، فَرَوَدْنَا، قَالَ: نَعَمْ، فَحَمَلْنَا، وَزَوَدْنَا، وَأَعْطَانَا، ثُمَّ قَالَ: أَخْبِرْ صَاحِبَكَ، مَا صَنَعْتُ إِلَيْكُمْ، وَهَذَا رَسُولِي مَعَكَ، وَأَنَا أَشْهَدُ

أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، فَقُلْ لَهُ يَسْتَغْفِرْ لِي، قَالَ جَعْفَرٌ: فَخَرَجْنَا حَتَّى أَتَيْنَا الْمَدِينَةَ، فَتَلَقَّانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَأَعْتَقَنِي، فَقَالَ ﷺ: مَا أَذْرِي أَنَا بِفَتْحِ خَيْرٍ أَفْرَحَ، أَوْ بِقُدُومِ جَعْفَرٍ، ثُمَّ جَلَسَ، فَقَامَ رَسُولُ النَّجَاشِيِّ، فَقَالَ: هُوَ ذَا جَعْفَرٌ، فَسَلُّهُ مَا صَنَعَ بِهِ صَاحِبُنَا، فَقُلْتُ: نَعَمْ، قَدْ فَعَلَ بِنَا كَذَا، وَحَمَلْنَا، وَزَوَّدَنَا، وَنَصَرَنَا، وَشَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، وَقَالَ: قُلْ لَهُ يَسْتَغْفِرْ لِي، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَتَوَضَّأَ ثُمَّ دَعَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلنَّجَاشِيِّ، فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ: آمِينَ، قَالَ جَعْفَرٌ: فَقُلْتُ لِلرَّسُولِ: انْطَلِقْ، فَأَخْبِرَ صَاحِبَكَ مَا رَأَيْتَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ<sup>(٣٤٧)</sup>.

ويتبين من هاتين الروایتين أن النبي ﷺ قد عانق كلا من زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، وقد كان زيد ابنه بالتبني، وجعفر ابن عمه أبي طالب بمثابة ابنه أيضاً لأن والده توفي وهو صغير، فأخذه عمه العباس ورباه، وقد كان الرسول ﷺ بمثابة أب له، ويلبي كل احتياجاته، وكما رأينا فقد تعامل مع الاثنين بشفقة الأب ورحمته بأبنائه.

وقد قسم العلماء التقبيل إلى أقسامٍ متعدّدة؛ وهي:

"التحية والشفقة والرحمة والشهوة والمودة"

فتقبيل الوالدين خدّ ابنيهما هو "تقبيلٌ من قبيل رحمة"، ولقد اتّضح من هاتين الروایتين مدى لطف النبي ﷺ ورقة شعوره ولينه حين قبل جبينهما.

## ٢- تصرفه ﷺ تجاه من يريدون تقبيل يده

لم يكن الرسول ﷺ يسمح للناس -بشكلٍ عام- أن يُقبِلوا يديه، غير أنه كان لا يردّ مَنْ يريدون ذلك ويصرون عليه، وقد أذن الرسول لأصحابه بذلك ممّن يريدون تقبيل يديه، فعَنْ صَفْوَانَ بْنِ عَسَالٍ قَالَ: "قَالَ يَهُودِيٌّ

لِصَاحِبِهِ: اذْهَبْ بِنَا إِلَى هَذَا النَّبِيِّ فَقَالَ صَاحِبُهُ: لَا تَقُلْ نَبِيٍّ، إِنَّهُ لَوْ سَمِعَكَ كَانَ لَهُ أَرْبَعَةٌ أَعْيُنٌ، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَسَأَلَاهُ عَنْ تِسْعِ آيَاتِ بَيِّنَاتٍ، فَقَالَ لَهُمْ ﷺ: لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلَا تَسْرِفُوا، وَلَا تَزْنُوا، وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَلَا تَمْشُوا بَريءٍ إِلَى ذِي سُلْطَانٍ لِيَقْتُلَهُ، وَلَا تَسْخَرُوا، وَلَا تَأْكُلُوا الرِّبَا، وَلَا تَقْذِفُوا مُحْصَنَةً، وَلَا تُوَلُّوا الْفِرَارَ يَوْمَ الرَّحْفِ، وَعَلَيْكُمْ خَاصَّةُ الْيَهُودِ أَنْ لَا تَعْتَدُوا فِي السَّبْتِ، قَالَ: فَقَبِّلُوا يَدَيْهِ وَرَجُلَيْهِ، فَقَالَا: نَشْهَدُ أَنَّكَ نَبِيٌّ، قَالَ ﷺ: فَمَا يَمْنَعُكُمْ أَنْ تَتَّبِعُونِي؟ قَالُوا: إِنَّ دَاوُدَ دَعَا رَبَّهُ أَنْ لَا يَزَالَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ نَبِيٌّ، وَإِنَّا نَخَافُ أَنْ تَبْعَاكَ أَنْ تَقْتُلَنَا الْيَهُودُ“ (٣٤٨).

ولقد استنبط علماء الإسلام من هذا الحديث أنه يجوز تقبيل يد الشخص لزمهده وثقاه وعلمه وشرفه وصدقه وعدله وأمانته، ولا يجوز تقبيل يده لثرائه وغناه أو لأي أسبابٍ دنيوية.

وأخيراً يجب علينا مصافحة أفراد عائلتنا، وأصدقائنا المقربين، وأقربائنا لدى مقابلتهم، وأن نستقبل من يأتون منهم من سفرٍ بعيدٍ بحفاوةٍ وحبٍّ، فنعانقهم ونقبلهم، ولا تجوز مصافحة غير المحارم.